سورة فصلت

٤٥٤ ـ قوله تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[١٠] أى مع اليومين اللذين تقدما [فى] قوله: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[١][٩]؛ لئلا يزيد العدد على ستة أيام[٢]؛ فيتطرق إليه كلام المعترض.

وإنما جمع بينهما ولم يذكر اليومين على الانفراد بعدهما لدقيقة لا يهتدى إليهما كل أحد وهى أن قوله: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ صلة (الذى). ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ عطف على قوله: ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾[٩] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[١٠] عطف على قوله: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ﴾[٩] وهذا تفريع فى الإعراب لا يجوز فى الكلام، وهو فى الشعر من أقبح الضرورات، لايجوز أن يقال: جاءنى الذى يكتب وجلس ويقرأ؛ لأنه لا يحال بين صلة الموصول، وما يعطف بأجنبى[٣] من الصلة.

فإذا امتنع هذا لم يكن بد من إضمار فعل يصح الكلام به ومعه، فيضمر ﴿خلق الأرض﴾ بعد قوله: ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٩]، فيصير التقدير: ذلك رب العالمين خلق الأرض وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام، ليقع هذا كله فى أربعة أيام، ويسقط الاعتراض والسؤال. وهذه معجزة وبرهان.

٤٥٥ ـ قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾[٤][٢٠]، وفى

---

(١) مقصوده ـ والله أعلم ـ دخول اليومين فى عدة الأربعة، أى منها اليومان السابقان.

(٢) راجع أقوال المفسرين تفصيلاً فى ابن كثير (٣/٢٥٧)، وكشاف الزمخشرى (٤/١٤٧، ١٤٨)، والقرطبى (١٥/٣٤٢)، وفتح الرحمن (ص ٣٧٣) مسألة رقم (٣).

(٣) أى على الصلة، وبيانه أن: (جلس) معطوف على (جاء)، وفاعله الضمير المستتر فيه عائد على (الذى)، و(يقرأ) معطوف على (يكتب) وهو صلة (الذى). وجملة (جلس) أجنبى عن صلة الموصول وقد حيل بها ـ وهو أجنبى ـ بين الصلة (يكتب) والمعطوف (يقرأ)، ولو جاء المثال هكذا: جاءنى الذى يقرأ ويكتب، وجلس لصح عدم الفصل بين الصلة والمعطوف عليها؛ إذ المضارع مع المضارع معتبر، والماضى مع أخيه كذلك.

(٤) راجع الطبرى (٢٤/٦٨)، والقرطبى (١٥/٣٥١)، ومختصر ابن كثير (٣/٢٥٩)، وفتح الرحمن (ص ٣٧٤) مسألة رقم (٣).

«الزخرف» وغيره: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾[٣٨]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ [الزمر: ٧١] بغير (ما)؛ لأن حتى هاهنا هى التى تجرى مجرى واو العطف، نحو قولك: «أكلت السمكة حتى رأسها. أى ورأسها». وتقدير الآية: فهم يوزعون [و[١]] إذا جاءوها، و﴿ما﴾ هى التى تزاد مع الشروط نحو: أينما وحيثما و﴿حتى﴾ فى غيرها من السور للغاية.

٤٥٦ ـ قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢][٣٦] ومثله فى «الأعراف»، لكنه ختم بقوله: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢٠٠]؛ لأن الآية فى هذه السوره متصلة بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣٥] فكان مؤكدًا بالتكرار وبالنفى والإثبات؛ فبالغ فى قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣٦] بزيادة ﴿هو﴾، وبالألف واللام، ولم يكن فى الأعراف هذا النوع من الاتصال؛ فأتى على القياس: المخبر عنه معرفة والخبر نكرة.

٤٥٧ ـ قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾[٣][٤٥] وفى [حم عسق] بزيادة قوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[١٤]، وزاد فيها أيضًا: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾؛ لأن المعنى: تفرق قول اليهود فى التوراة، وتفرق قول الكافرين فى القرآن، ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخر العذاب إلى يوم الجزاء، لقضى بينهم بإنزال العذاب عليهم.

وخصت «حم عسق» بزيادة قوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ لأنه ذكر البداية فى أول الآية، وهو: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾[١٤] وهو مبدأ كفرهم فحسن ذكر النهاية التى أمهلوا إليها؛ ليكون محدودًا من الطرفين.

---

(١) زيادة الواو لازمة للسياق.

(٢) تفسير القرطبى (١٥/ ٣٦٣)، والفتح (ص ٣٧٤، ٣٧٥) مسألة رقم (٦).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٧/ ١٣٥)، والقرطبى (١٥/ ٣٧٠)، وفتح الرحمن (ص ٣٧٥) مسألة رقم (٧).

٤٥٨ ـ قوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[1][٤٩]، وبعده: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[٥١] لا منافاة بينهما؛ لأن معناه: قنوط من الضيم، دعاء لله، وقيل: يئوس قنوط بالقلب، دعَّاء باللسان. وقيل: الأول فى قوم والثانى فى آخرين. وقيل: الدعاء مذكور فى الآيتين، ودعاء عريض فى الثانى.

٤٥٩ ـ قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾[2][٥٠] بزيادة ﴿منا﴾ و﴿من﴾، وفى «هود»: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾[١٠]؛ لأن ما فى هذه السورة بين جهة الرحمة، وبالكلام حاجة إلى ذكرها؛ وحذف فى «هود» اكتفاء بما قبله، وهو قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾[٩]، وزاد فى هذه السورة ﴿من﴾ لأنه لما (حدَّ) الرحمة والجهة الواقعة منها، حد الطرف الذى بعدها ؛ ليتشاكلا فى التحديد؛ وفى «هود» لما أهمل الأول أهمل الثانى.

٤٦٠ ـ قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم﴾[3][٥٢]، وفى «الأحقاف»: ﴿وَكَفَرْتُم بِهِ﴾[١٠] بالواو؛ لأن معناه فى هذه السورة: كان عاقبة أمركم بعد الإمهال للنظر والتدبر: الكفر؛ فحسن دخول ﴿ثم﴾؛ وفى «الأحقاف» عطف عليه ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾[١٠] فلم يكن عاقبة أمرهم ، فكان من مواضع الواو.

---

(١) مختصر ابن كثير (٣/ ٢٦٦)، والفتح (ص ٣٧٥) مسألة رقم (٨).
(٢) راجع الطبرى (٢٥/ ٤)، والقرطبى (٥/ ٣٧٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٤).
(٣) راجع القرطبى (١٥/ ٣٧٤)، وأبا السعود (٥/ ٢٧)، والكبير (٢٧/ ١٣٧).